

المؤتمر العالمي الثاني لبديع الزمان سعيد النورسي
"بديع الزمان سعيد النورسي واعداد بناء العالم الاسلامي في القرن العشرين"
27 - 29 ايلول 1992 استانبول - تركيا

الامام بديع الزمان سعيد النورسي المصلح الذي تجسدت في دعوته كل حركات التجديد والإصلاح
د. عبد الودود إبراهيم شلبي*

الامام بديع الزمان سعيد النورسي..

اسم لا يكاد يسمع به في عالمنا العربي الا النذر القليل.

ان أمة "أقرأ" لم تعد تقرأ! والجهالة تزحف من كل ناحية على المسلمين والعرب..

وهل يصدق عاقل ان خبيراً في شئون التعليم والثقافة لا يعرف اين مات واين ولد النبي
محمد صلى الله عليه وسلم؟ لقد كان هذا الخبير الأستاذ الدكتور يعتقد ان النبي مدفون في الكعبة!
واذا كان هذا هو الشأن مع أهم وأعظم انسان عرفه المسلمون والعرب، فماذا يكون الحال مع
آخرين من الأئمة والمصلحين من غير العرب؟! !

عندما كنت أميناً عاماً للدعوة الاسلامية في مصر، طلبت شراء مئات من كتاب تاريخ
الإمام النورسي الذي كتبه الأخ الأستاذ احسان قاسم الصالحى، لقد فوجئت بالكثيرين يسألون عن
السبب في شراء هذا الكتاب. ومن يكون "سعيد النورسي" هذا؟ وفي اي البلاد نشأ؟ وهل هو
شاعر أم كاتب؟ فقيه أم فيلسوف؟ هندي أم عربي...؟! !

هذه الاسئلة كشفت عن اسباب "السقوط" الذي انتهت اليه الامة. وكل اسباب التخلف
والانهيار الذي يتهدد وجودنا وكياننا بأكبر كارثة.. وما يحدث في "البوسنة والهرسك" خير شاهد
على هذه المصيبة..!

لقد اخترت لبحثي في هذا المؤتمر عنواناً هو :

الامام سعيد النورسي

المصلح الذي تجسدت في دعوته كل حركات التجديد والاصلاح

كما حددت للكتابة في هذا البحث أربعة عناصر هي:

* العصر الذى نشأ فيه..

* التيارات الإصلاحية التي كانت سائدة في عصره

* المنهج الذي اختاره..

* الدور الذي قام به..

ترى.. أكنت مغالياً في هذا الاختيار؟ وفي تحديد عناصر البحث المشار إليه في هذا المقال؟

كان القرن التاسع عشر من أسوأ القرون التي مرت بها الأمة الإسلامية وكان من سوء حظ الأتراك والمسلمين معاً أنهم أخذوا في الانحطاط والتدنّي، ودب إليهم داء الأمم من قبلهم من البغضاء والتحاسد واستبداد الملوك وجورهم، وسوء تربيتهم، وفساد أخلاقهم، وخيانة الولاة والأمراء، وغشهم للأمة وإخلاق الشعب إلى الراحة والدعة، ونفسي الجهل والخرافة... "وانقطع ما بين المسلمين وعلومهم الأولى، فنذر فيهم من كان يتعلم النافع منها كالفقه واللغة والادب، والرياضة، وانقطع ما بينهم وبين العلوم العصرية، فنظر الكثيرون منهم إلى علوم الجغرافيا والطبيعة والكيمياء، كأنها الكفر البواح، أو السحر المزيف، فاصطبغ فهمهم للدين بصبغة الجهل والتخريف، وطلبوا الخلاص من غير بابه، وتوسلوا للعمل بغير أسبابه، واتهموا الناصحين، واسلموا مقادتهم للدجالين والمحتالين، وفي هذه الفترة كان الإسلام كما يفهم الجهلاء مزيجاً من الخرافة والشعوذة، ومن الطلاسم والالوهام ومن الوثنية وعبادة الموتى وكان طلاب الفتوى - من مشارق الأرض ومغاربها - يسألون عن الكبريت هل يجوز مسه؟! وهل يجوز قذح النار منه؟ أو طبخ الطعام على ناره؟ أو يأثم من يمس صنفرتة، لأنه مادة نجسة تنقض الطهارة".1

ومع كل هذه العلل.. فقد كانت الامبراطورية العثمانية قلعة للإسلام ولم تكد هذه القلعة تنهار، وبصبيها الوهن والضعف حتى فتح الباب على مصراعيه أمام الغرب، وانطلق البخار المسموم من مراحل الحقد ليذمر كل من يقف في طريقه إلى الشرق..

كانت النازلة شديدة، والكارثة كبيرة، والمعركة ضد الإسلام والمسلمين ضاربة عنيفة، كانت هذه الايام والسنوات كما يقول المؤرخ الجبرتي:2

"... أول سنى الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتوالى المحن، واختلال الزمن، وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الأهوال، واختلاف الاحوال، وعموم الخراب، وتواتر الاسباب، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون".3

وبدأ رد الفعل. وكان للتصرف الاستعماري البغيض والتعصب الصليبي المقيت أثره السريع في الانتفاض واليقظة، وعلان الجهاد والثورة، وكانت السمة الدينية لزعماء الجهاد والاصلاح ظاهرة في كل شعب.. وحركة.. وفي الحالات الاستثنائية التي برز فيها قادة مدنيون او عسكريون نجد انهم - في الاصل - نشأوا نشأة دينية، او مروا بمرحلة من مراحل التعليم الاسلامي في مسجد او جامعة..

كان الدين هو القوة المحركة الوحيدة في هذا الوقت. وكان العلماء هم الجزء الحى في جسم الامة الميت.. وكما ان السيف والقيثارة قد اجتمعا في عصور الوثنية - قبل البعثة النبوية - فكذلك اتحد في الاسلام العلم الدينى.. بالنبوغ الحربى..

وممن يمثل هذه الظاهرة الفذة في تاريخ الاسلام الحديث "شامل" بطل الاستقلال القوقازى، والمهديون الحربيون الذين ظهروا في السودان 4 والصومال.

في تاريخنا الاسلامى... كانت هناك ثلاث حركات تكاد تكون متشابهة بل تكاد تكون متطابقة. كان لكل حركة من هذه الحركات دورها وأثرها في الحفاظ على عقيدة الامة، وعلى بقائها صافية نقية، وعلى تجنبها مخاطر التفتت والذوبان، في عقائد اخرى زائغة، او السقوط في شرك الحضارة الوثنية القائمة..

اقدم هذه الحركات الثلاث هى حركة الامام المجدد المجاهد الزاهد الشيخ احمد بن عبدالاحد الفاروقى السرهندى الملقب بمجدد الالف الثانى للهجرة - في الهند.

وثانى هذه الحركات هى حركة الامام الشيخ عبدالحميد ابن باديس في الجزائر.

وثالث هذه الحركات هى حركة الامام المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى في تركيا.

كانت حركة "ابن باديس" تجسيدا للمقاومة والثورة ضد الاستعمار الفرنسى الذى حاول طمس وتغيير كل ما هو اسلامى او عربى في الجزائر. ألم يعلن الكاردينال الفرنسى "لافيجرى" ان الجزائر لم تعد مسلمة. وان الجزائر اصبحت مهذاً للمسيحية، وان اجراس الكنائس يجب ان تعلق لتحل مكان الأذان في اى مسجد او زاوية!

وكما يخرج اللبن من بين فرث ودم، ويطلع الفجر من بين ثنايا الظلام والليل استيقظت

الجزائر كلها على صوت الشيخ عبدالحميد ابن باديس وهو يعلن بأعلى.. صوت:

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب

من قال حاداً عن أصله أو قال مات فقد كذب

أو رام إيماءاً له رام المحل من الطلب

وقد سلك في ذلك طريق التعليم والتربية، والوعظ والدعوة، والنشر، والصحافة..

كانت حركة الشيخ بن باديس معاصرة لحركة الشيخ سعيد. فالشيخ سعيد ولد في عام

1293 هـ . بينما ولد الشيخ بن باديس في عام 1308 هـ .

أي أن الشيخ سعيد كان أكبر من الشيخ بن باديس بحوالي خمسة عشر عاماً.

وبينما توفي الشيخ عبدالحميد بن باديس مبكراً أي في عام 1359 هـ فقد توفي الشيخ سعيد

متأخراً أي عام 1379 هـ...

غير أننا نرى في حركة الامام "احمد السرهندي" تطابقاً كاملاً مع حركة الامام سعيد

النورسي.. من حيث الظروف التي نشأت فيها والمشكلات التي واجهتها، والنتيجة التي انتهت

اليها كل منهما.

فالامام "السرهندي" نشأ في عصر اسوأ ملوك الاسلام في الهند قاطبة.. في عصر الملك

"أكبر" .. ذلك الملك الغرُّ الذي اراد ان يقضي على الاسلام في الهند قضاء مبرماً وإلى الابد...!!!

وان يضع ديناً جديداً مقتبساً من شعائر الوثنية ورسومها يتخللها شئ من تعاليم الاسلام

وتوجيهاته . والذي حملة على اقتراف هذه الجريمة الشنعاء، حرصه على بقاء الملك والتحبيب الى

اهالى البلاد من الهنادك، وزعمه الفاسد بأن هذا الصنيع يقربه اليهم ويرفع مقامه في أعينهم ويحلّه

محل الصدارة من قلوبهم. فأختار لذلك طرقاً عديدة ومناهج متشعبة.

منها تزوجه من بنات امراء الهنادك مع بقائهن على عقائدهن وتمسكهن بدياناتهن وادائهن

لشعائرهن في القصر الملكي.

ومنها تخلقه باخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقليدهم في ملابسهم. وقد بلغ منه الكره والعداء

للاسلام ان كان يسمى الخدم والفراشين باسماء النبي صلى الله عليه وسلم "احمد ومحمد"، تحقيراً

لشأن الرسالة وفضلاً من كرامتها.

وكذلك استبدال بالتقويم الهجرى الاسلامى تقويماً جديداً سماه التقويم الالهى، يبتدى بسنة

جلوسه على سرير الملك.

ومن بدعه انه احل الخمر والقمار وغيرهما من الخبائث والمنكرات واعانه على ذلك علماء
السوء في عصره من عبيد الدينار والدرهم، فزينوا له ما سؤله له عقله المعتوه، وجعلوه يستيقن
من نفسه العصمة، وقدموا اليه عريضة - تسمى محضراً باللغة الفارسية - تثبت للملك الغر
العصمة وتخوله الحق في ان يشرع من القانون ما يشاء ويضع من الاحكام ما يريد الى غير ذلك
من الاباطيل والخزعلات التي تضيق هذه العجالة عن سردها.

وجملة القول ان هذه البدع والمنكرات ما كانت الا مقدمة لما كان عقد العزم عليه من وضع
دين جديد ينسخ به دين الله الخالد بزعمه، ظنا منه ومن خواص أشياعه ان هذا الدين "الاسلام"
الذي جاء به محمد العربي - و"البدوى" حسب تعبير اولئك الزنادقة، قد مضى عليه الف سنة،
والعصر الجديد يومئذ في حاجة الى دين جديد يوافق ميول اهل العصر واهواءهم ونزعاتهم.
فاعلنوا دينهم الجديد وسموه "الدين الالهى".

وكان شعارهم في ذلك "الله اكبر" يريدون به ان هذا الملك الضليل المعتوه "اكبر" هو

الله...!!

فكان من اثر كل ذلك ان اصبح عصر هذا الملك المأفون "964 - 1014هـ" عصر بلاء
ومحنة للاسلام والمسلمين في هذه الديار اتسع فيه الخرق على الراقع وجاوز السيل الزبى.
فاضطهد من اضطهد من عباد الله، وحبس، واعتقل من اعتقل. الا انه مما يؤلم القلب ويدمع العين
انه قد زلت في هذه الفتنة العمياء اقدام الخاصة والعامة ولم ينج من شرها حتى من كان يعد من
كبار العلماء الفقهاء في ذلك العصر، فلم يثبت في تلك المحنة الكبرى الا عدد قليل منهم جداً. اما
جمهور العلماء والعدد الغالب منهم ، فقد استسلموا لامر الملك وجبروت السلطان القاهر ولم
يتخرجوا من التوقيع على "المحضر" الذى ادعى للملك العصمة وخوّله الحق في وضع الشريعة.
لما آل الامر الى ما تقدم بيانه من غربة الاسلام في هذه البلاد، والتضييق على المسلمين
واضطهادهم، واصبح مثل القابض على الدين من بينم كمثل القابض على الجمر.

وقف الرجل الذى قيض الله ان يقف في وجه هذا الطاغية وانصاره الضالين المضلين ،
ويرفع لواء افضل الجهاد، ويصدع بكلمة الحق، ويكبح جماح غوايتهم، ويقضى على بدعهم
وشرورهم قضاء مبرماً. فقام الامام المجاهد العالم الزاهد الشيخ احمد ابن عبدالاحد الفاروقى
السرهندي5 الملقب بمجدد الالف الثانى للهجرة6 بالجدارة والاستحقاق، وشمر عن اذياله لمقاومة
الفتنة الاكبرية ورد مكاييد اعداء الاسلام، وتهذيب نفوس اهل الغواية وجاهد في ذلك جهاداً موفقاً

مبروراً حتى انجحه الله في مساعيه 7، وقضى قضاء مبرماً على فتنة هذا الملك المعنوه وحوارييه.

وإذا كان الاسلام هو دين "التوحيد" فهو كذلك دين الوحدة..

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً "سورة الانبياء: 92".

ولا تكونوا من المشركين* من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون
"سورة الروم: 31 - 32"

وإذا كان الاسلام قد قضى على الوثنية والشرك.. فهو كذلك قضى على الفرقة والخلاف
الورثيين الحقيقيين لهذه الوثنية وهذا الشرك.

وفي ذلك يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم
رقاب بعض".

ولم يبتل المسلمون قديماً وحديثاً بمثل هذا التمزق، والتفرق، والتعصب لمذهب على حساب
مذهب، حتى روي ان شافعيًا سئل: عن حكم الطعام الذي وقعت عليه قطرة من النبيذ فقال اى
الشافعي: يرمى - اى الطعام - لكلب او لحنفى!!

كما سئل رجل حنفى: هل يجوز للحنفى ان يتزوج المرأة الشافعية؟ .. فقال اى الحنفى: ان
ذلك لا يجوز لانها تشك في ايمانها..

وقال حنفى آخر: يجوز زواجها قياساً على زواج اليهودية والنصرانية!!
ومن أسوأ صور هذا التعصب ما قاله الشيخ ابو الحسن عبد الله الكرخى الحنفى قال:

كل آية او حديث تخالف مذهبنا فهي إمّا مُؤَوَّلَةٌ او منسوخة8!!..

وحتى يومنا هذا لايزال بين المسلمين من يرى الامامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم
ضالين .. مضلين .. !!!

وحتى يومنا هذا لايزال بين المسلمين من يرى الصوفية والتصوف شركاً وخرافة!!..

وحتى يوماً هذا لايزال بين المسلمين من يرى ابن عربى كافراً ومرتداً.. !!!

وحتى يومنا هذا لايزال هناك كثيرون يرمون الشيعة الامامية بالحجارة ، ويتهمونهم بالكفر

والزندقة...!!!

لقد وقف بديع الزمان امام هذه الخلافات كلها موقف القاضى العادل. وتجاوز كل هذه الخلافات التى افرزها الجهل والتعصب القاتل ووازن بين هذه الآراء كلها بميزان الحق الذى لا يميل الى جانب دون آخر..

يقول الاستاذ احسان الصالحى9:

“تدعو رسائل النور الى نصب ميزان العدالة الالهية الذى يزن به الله سبحانه اعمال المكلفين يوم الحشر، والى اقامته في الدنيا كذلك عند ذكر الاشخاص او الجماعات.

لذا ترى انها عندما تضع موازين وقياسات بين المختلفين في أمر ما، لا تتحاز الى جهة دون اخرى ولا تغمط حق احدهما دون الآخر. فنذكر الحسنات والسيئات وتذكر الاسباب الداعية الى الاخطاء، بدراسة العوامل المؤثرة مع عوامل المحيط.. وغيرها من الامور...

هذا دأب الرسائل في الخلافات التاريخية سواء بين مفكرى الاسلام او بين الجماعات او اى شكل من اشكال تلك الخلافات، وبدراسة النص الآتى يتمكن القارئ ان يلم ببعض الجوانب التحليلية الدقيقة والموضوعية الخالصة لنظرة رسائل النور الى اى خلاف كان من الخلافات الفكرية في التاريخ:

لا يمكن لاحد ان ينكر فضل “اهل السنة والجماعة” في حفظ الحقائق القرآنية والايمانية والسنة النبوية الشريفة على المحجة البيضاء كما تركها الرسول صلى الله عليه وسلم فالعالم الاسلامى بأسره مدين لهم، معترف بفضلهم عليه، جزاهم الله عن امة الايمان والاسلام كل خير... وببركة هذا العمل العظيم كانت الاكثرية المطلقة من الاولياء الصالحين قد ظهرت من بين صفوف هذه الجماعة المباركة... ولكن شوهد وعرف اولياء آخرون في طريق تخالف اصول السنة والجماعة، وخارجة عن بعض قواعدهم وطرائقهم...

لقد انقسم الناس - في شأن هؤلاء الاولياء - الى ثلاثة اقسام:

القسم الاول: وهم الذين انكروا ولايتهم وصلاحهم، وذلك لمخالفتهم اهل “السنة والجماعة”... بل قد ذهبوا الى ابعد من الانكار حيث كفّروا بعضهم...

القسم الثانى: وهم الذين اقرروا بولايتهم ورضوا عنهم واتبعوهم، ودافعوا عن طريقتهم

قائلين:

“ان الحق ليس محصوراً على سبيل اهل السنة والجماعة”...

فشكّلوا بهذا القول والاعتقاد فرقة مبتدعة، وانساقوا الى الضلالة ناسين ان المهتدى لنفسه ليس من شرطه ان يكون طريقاً لهداية الآخرين... فان وجد من يعذر شيوخهم على اخطائهم وشطحاتهم لانهم مجذوبون، الا ان اتباعهم ليس لهم العذر في اتباعهم في الصواب منهم والخطأ...

القسم الثالث: وهم الذين سلكوا طريقاً وسطاً، حيث لم ينكروا ولاية اولئك وصلاحهم، الا انهم لم يرضوا بطريقتهم ومنهجهم...

وقالوا: ان ما تفوهوا به من الاقوال المخالفة للاصول الشرعية، اما انها ناشئة عن غلبة الاحوال - القلبية والوجدانية - عليهم، مما جعلهم في حالة ذهول عما يقولون... او انها شطحات نعجز عن معرفة معانيها وفهم مراميها، وما ترمز وتومئ اليه من معان وافكار...

اما اصحاب القسم الاول - وبالاخص علماء اهل الظاهر - فقد انكروا بنية الحفاظ على طريقة اهل السنة - ولاية اولياء عظام ورفضوها مع الاسف - ولم يكتفوا بذلك بل ذهبوا - مضطرين - الى ابعاد منه فحكّموا بضلالتهن..

اما اصحاب القسم الثاني: وهم المتطرفون بتأييد شيوخهم وقبول كل مايجئ منهم، اقبلوا على طريقهم، واداروا ظهورهم لطريق الحق وعافوها لما يضمرون من حسن الظن المفرط بشيوخهم، حتى انجرف البعض منهم الى الضلالة دون ان يشعروا...”..

هذا وقد يتبادر الى ذهن القارئ: ما رأى رسائل النور في كل من شيخ الاسلام “ابن تيمية” وتلميذه المخلص “ابن قيم الجوزية” وهل لهما ذكر في الرسائل، ثم ما رأى الرسائل كذلك في الشيخ محي الدين بن عربي وطريقته؟؟

ونحن - حرصاً على الاختصار - نقطف هذه الفقرة التي يذكر فيها الاستاذ النورسي الشيخ ابن تيمية وابن قيم الجوزية في رسالة ارسلها الى احد تلاميذه وهو في “امير داغ” فيصفهما بـ “الجهبذين الداهيين” و”المثيرين للاعجاب” و “المشهورين” يصف كتبهما كذلك بانها من المؤلفات ذات الجاذبية القوية جداً والعجيبة جداً “... انه منذ فترة نرى - بين العلماء في استانبول - تتداول مؤلفات عجيبة جداً ذات جاذبية لابن تيمية وابن قيم الجوزية اللذين هما من الجهابذة الدهاة المشهورين المثيرين للاعجاب”..

اما بالنسبة الى الشيخ محى الدين بن عربى، فسنتطف فقرتين من رسالتين مختلفتين:
احدهما تحلل شخصيته والاخرى طريقته:

“ لايسعنى الوقت الكافى لوضع ميزان بين الافراط والتقريب بحق هذا الشخص فأكتفى بما
يأتى:

انه - اى محى الدين بن عربى - لاينبغى ان يكون مرشداً او قدوة في جميع ما كتبه،
رغم انه شخص مقبول ومهتد...

ولكن لمخالفته القواعد الثابتة لأهل السنة فانه يمضي غالباً دون ميزان في الحقائق، لذا
افادت بعض أقواله - ظاهراً - الضلالة، غير انه برئ من الضلالة، والكلام قد يبدو كظاهراً
ولا يكون القائل به كافراً...”..

ويحدد رأيه في كتبه ختام الرسالة نفسها قائلاً:

“ لذا فان قراءة كتب محى الدين مما يضر في زماننا هذا، وبالاخص آراءه في وحدة
الوجود”10”..

كان منهج الامام بديع الزمان في مواجهة هذه الخلافات والتناقضات هو منهج الامام
الغزالي في مواجهة هذه الخلافات والتناقضات التى كانت سائدة في عصره. كانت له افكاره
الخاصة، ومواقفه المستقلة التى خالف فيها من قبله حتى من اهل مذهبه..

فالامام الغزالي خالف الاشعرى في بعض مسائل الكلام..

وخالف امامه الشافعى في بعض مسائل الفقه، كما نرى ذلك في “الإحياء” في مسألة “المياه”
التى قال: كنت اود ان يكون مذهبه فيها كمذهب مالك، وايد مذهب مالك بسبعة ادلة11..

وخالف المتصوفة في شطحاتهم وتهويماتهم غير المنضبطة بالشرع ولا بالعقل.

فقد انكر في “الاحياء” الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصال
المغنى عن الاعمال الظاهرة، حتى ينتهى بقوم الى دعوى الاتحاد، وارتفاع الحجاب، والمشاهدة
بالرؤية، والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا: كذا، ويتشبهون فيه بالحسن بن منصور
الحلاج، الذى صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: انا الحق! ... فهذا
ومثله مما قد استطار في البلاد شرره، وعظم في العوام ضرره، حتى من نطق بشئ منه، فقتله
افضل في دين الله من احياء عشرة!

وكانت مخالفته للاشعري مما اثار حوله غباراً كثيفاً حتى اتهم بالزيغ بل بالكفر، حيث طعن عليه طائفة "من الحسدة" بأن في بعض كتبه ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين، والمشايخ المتكلمين، وان العدول عن مذهب الاشعري - ولو في قيد شبر - كفر!، ومباينته - ولو في شئ نزر - ضلال وخسر! 12

وقد واجه هذه الحملة العنيفة بتصنيف كتابه "فيصل التفرقة الاسلام والزندقة" ..

لم يكن اهتمام الامام بديع الزمان سعيد النورسي بالسياسة اهتماماً سياسياً بالمعنى المعروف لهذه الكلمة، بل كان اهتمامه بها اهتمام المسلم المعذب بشجون امته، ذلك لان السياسة بمعناها المعروف في هذا العصر تعنى التحدث عن شئ.. ثم العمل على نقيض هذا الشئ..

فالساسة في الاسلام مرتبطة بالعقيدة، وبالاخلاق وبالقيم التي تتادى بها هذه العقيدة، والامام بديع الزمان كان في تصرفه وسلوكه تجسيداً لهذه العقيدة وهذه القيم والاخلاق التي تتادى بها هذه العقيدة.. ان القضية كلها كانت تدور حول المفهوم الدستوري لمعنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" .. لأن معنى هذا الحديث يفرض على كل مسلم ومسلمة الجهر بكلمة الحق .. والتدخل لاعلاء كلمة الله في الارض، والسعى بكل الوسائل لرفع راية الاسلام وشريعته في دواوين السلطة والحكم.

ولم يكن الامام سعيد النورسي يختلف في هذا الشأن عن جمال الدين الافغانى. كلاهما جهر بالحق وكلاهما صرخ في وجه الطغاة والظلمة: ان كفوا عن ظلم الرعية والشعب..

غير ان الجانب الفكرى والتربوى كان هو الغالب في منهج الامام بديع الزمان .. وهو المنهج ذاته الذى اختاره الشيخ محمد عبده بعد انفصاله عن السيد جمال الدين الافغانى حتى قال الشيخ محمد عبده في ذلك كلمته المشهورة:

لعن الله السياسة، وما تفرع منها من ساس، ويسوس، وسائس...!!

كانت اهم وسيلة لاصلاح العقيدة في نظر الشيخ محمد عبده هي تفسير القرآن الكريم..

كان يقرأ الاية فاذا اتصلت بالعقيدة شرحها شرحاً وافياً، عارضاً ما ورد في القرآن الكريم في موضوعها، مبيناً ما دخل على المسلمين في هذه العقيدة من فساد ودخيل، واذا اتصلت الاية بالاخلاق أبان أثر هذا الخلق في صلاح الأمم وضياعه في فسادها، واذا اتصلت بحالة اجتماعية أوضح أثر هذه الحالة الاجتماعية في حياة الامم مسترشداً بالواقع وبما يجرى في العالم. فهو

تفسير عملي يشرح الواقع ويبين سببه، وهو تفسير اخلاقي يدعو للعمل على مبادئ الاسلام،
وتفسير روحاني يدعو الى السمو بالنفس الى العالم العلوي..13

هذا المنهج هو الذى اختاره الاستاذ الامام في تفسير المنار..

وهذا المنهج نفسه، هو الذى اختاره الشهيد سيد قطب في "ظلال القرآن". كما اختاره شيخ
الازهر الاسبق الشيخ محمود شلتوت في تفسيره للقرآن الكريم.. واختاره بعد ذلك كثيرون في
مختلف اقطار الاسلام..

وهذا المنهج في تفسير القرآن، هو المنهج نفسه الذى اختاره الامام بديع الزمان ...

لقد وصف الاستاذ الرسائل بقوله:

"ان رسائل النور برهان للقرآن الكريم، وتفسير قيم له وهي لمعة براءة من لمعات اعجازه
المعنوى، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كنز العلم،
وترجمة معنوية نابغة من فيوضاته" ..

"فهى ليست كالمؤلفات الاخرى التى تستقى من مصادر متعددة من العلوم والفنون، فلا
مصدر لها سوى القرآن الحكيم ولا ترجع الا اليه ، فلم يكن عند المؤلف اى كتاب حين تأليفها".
"و اذا قيل: كيف تعد رسائل النور تفسيراً للقرآن الكريم مع انها لا تشبه التفاسير المتداولة؟
فالجواب: "التفسير نوعان" ..

الاول: هو تفسير اللفظ والعبارة والجملة في الآية الكريمة.

والآخر: اثبات الحقائق الايمانية للقرآن الكريم اثباتاً مدعماً بالحجج الرصينة والبراهين
الواضحة.

وقد ثبت بشهادة ألوف من العلماء المحققين ان رسالة النور هى من هذا القسم "الثانى" من
التفاسير بل من أتمنه واسطعه وأكمله وأكثره قيمة"14...

لقد ولد بديع الزمان النورسى في عقد واحد مع العلامة الدكتور محمد اقبال. كلاهما ولد في
سبعينيات القرن التاسع عشر.

صحيح ان بديع الزمان كان أسبق سناً وأطول عمراً...15

غير ان موقفهما من الحضارة الغربية كان موقفاً واحداً، كلاهما لم تخدعه الظواهر البراقة

الزائفة، وكلاهما لم تغره طبول الدعاية الكاذبة. لقد نظرا الى جوهر الحضارة وروحها. وتعمقا في فهم خفاياها واسرارها.

لم يكن موقفاً ضد التقدم او العلم .ولم يكن موقفاً ضد التحرر من الظلم..
ان هذا كله جزء من عقيدتنا. والاسلام هو الدين الوحيد الذى جعل طلب العلم فريضة من فرائض ديننا..

فموقف العلامة اقبال، وموقف بديع الزمان بعبدان كل البعد عن هذا التصور، فليس من المعقول ان يقف الاسلام من العلم موقف التناقض، وكيف يُتصور ذلك بينما كانت معجزة هذا الدين الكبرى كتابا كانت اول كلمة اوحى بها هي كلمة "اقرأ"..
وانما نعنى هذه الحضارة التى:

"... تنتشر الكفر وتبث الجحود، ترى هل يمكن ان يسعد انسان مجرد تملكه ثروة طائلة وترفله في زينة ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله وفي قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن ان نطلق عليه انه سعيد؟!! الا ترون ان من يؤس من امر جزئى، وانقطع رجاؤه من امل وهمى، وخاب ظنه من عمل تافه، كيف يتحول خياله العذب مرأ علقماً. وكيف يتعذب مما حوله من اوضاع لطيفة، فتضيق عليه الدنيا - كالسجن - بما رحبت ..!
فكيف بمن اصيب بضربات الضلالة في اعماق قلبه، وفي اغوار روحه؟ وهل يمكن ان يطلق لمن روحه وقلبه يعذبان في جهنم وجسمه فقط في جنة كاذبة زائفة.. انه سعيد؟16
أليس هذا بعينه ما قاله "اليكس كاريل" في كتابه "الانسان ذلك المجهول"..

وان هذا هو ما حذر منه توينبى في تحليله لهذه الحضارة.

وهذا هو ما تنبأ به "اليكس كاريل" - الفرنسى - قبله.

وقد ظهرت في الآونة الأخيرة المئات من الكتب والبحوث التى تنتبأ بقرب سقوط هذه الحضارة كما سقطت قبلها حضارات كثيرة..

".... ان - اوربا - كما تنبأ العلامة الدكتور محمد اقبال تنتحر والروح تموت عطشاً في سرابها الخادع فيها حضارة.. نعم ولكنها حضارة تحتضر وان لم تمت حتف انفسها فلسوف تنتحر غداً وتذهب ، فاساس هذه الحضارة منهار لا يحتمل صدمة..
تستوى في هذا الشيوعية كما تستوى في هذا الرأسمالية..

فكلاهما يقوم على الشره، والنهامة. وكلاهما معاد لحقيقة الانسان الذي استخلفه الله فوق هذه الارض. 17”

وقد صدق نصف النبوة، بسقوط الشيوعية. ولن يبعد كثيراً هذا اليوم تكتمل فيه هذه النبوة...

نحن اذن امام رجل لا كالرجال، كما يقول العلامة - عباس العقاد-18: رجل عبقرى.. او رجل ممتاز من خاصة الخليقة الذين لا يعدون في الزمن الواحد بأكثر من الأحاد..

أنقول رجل قوى؟ نعم هو رجل قوى لا مرء، وكل عظيم فهو قوى بمعنى من معانى القوة.. وكل رجل من هذا القبيل فمعرفة ليست بالامر اليسير لانه نمط لا يتكرر. وقد يكون الرجل العظيم نمطاً وحيداً في التاريخ كله لا نظير له في تفصيل اخلاقه وصفاته وان ساواه في القدر انداد وقرناء..

وقد بلغ - سعيد النورسى - شأوا بعيداً في تأكيد هذه العظمة، وتأكيد هذه القوة..

قوة الايمان في مواجهة الكفر ..

وقوة الحق في مواجهة الباطل ..

وقوة العلم في مواجهة الخرافة ..

وقوة التضحية في مواجهة السيف والموت ..

ان قصة بديع الزمان مع الجنرال الروسى “نيقولا فيج” مثال حي على هذه العظمة وهذه القوة ..

وموقف بديع الزمان في المحكمة - التى سيق اليها - بدعوى الاشتراك في حركة تطالب بتطبيق الشريعة - مثال آخر على هذه القوة وهذه العظمة ..

فى ساحة المحكمة، ومنظر جنث خمسة عشر مشنوقاً تشاهد عبر النافذة يسأله رئيس المحكمة قائلاً:

- انت تدعو الى تطبيق الشريعة؟ ان من يطالب بها مصيره الشنق كما ترى في جنث

هؤلاء المشنوقين الخمسة عشر:19:

هنا يقف “بديع الزمان” قائلاً:

لو ان لى ألف روح لما ترددت ان اجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الاسلام.. اننى اقول لكم وانا واقف امام البرزخ الذى تسمونه السجن في انتظار القطار الذى يحملنى الى الآخرة.. اننى في غاية الشوق لقدمى الى الآخرة .. وانا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا على المشانق..

لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل ايام الاستبداد والان فان هذه الحكومة تعادى الحياة. واذا كانت هذه الحكومة هكذا..

فليعش الجنون..

وليعش الموت.. وللظالمين فلتعش جهنم...!!!

وبعد: فاذا صلح العالم .. صلح العالم .. كلمة سمعتها من رجل بسيط مسلم، فالمسلم بفطرته يحكم بميزان هذه الفطرة في شئون القلب، ويقيم من نفسه حاكماً على ما تقع عليه عيناه في دنيا الخلق..

ذلك لانه اذا صلح العالم، صلح الحاكم، واذ صلح الحاكم صلحت امور الرعية، واستقامت الموازين الفاصلة بين الاستبداد والحرية..

يقول النبى صلى الله عليه وسلم:

“صنفان من امتى اذا صلحا صلح الناس، واذا فسدا فسد الناس، العلماء والامراء” ..

العالم اولاً لأنه المسئول عن البيان والحاكم ثانياً لأنه يحكم طبقاً لما يوضحه العالم من امور يقوم عليها نظام الحياة والعمران .

يقول مقاتل بن سليمان:

دخلت على “حماد بن سلمة” فاذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس وفي يده مصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه - اى كتبه - ومطهرة يتوضأ منها، فبينما انا جالس اذ دق الباب فقال: يا حبيبة أخرجى فأنظرى من هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان “اى الحاكم”، فاذن له فدخل..

فقال: اما بعد : فصبحك الله بما صبح به اوليائه واهل طاعته، وقعت مسألة فأتنا نسألك

عنها..

فقال: يا حبيبة هلم الدواة، ثم قال لى: اقلب الكتاب واكتب : اما بعد: فاننت صبحك الله بما

صبح به اولياءه واهل طاعته، إنا ادركنا العلماء وهم لا يأتون احدا، فان وقعت لك مسألة فأتنا
وسل ما بدا لك، وان أتيتني فلا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح الأ نفسي والسلام..

فبينما انا جالس اذ دق الباب..

فقال: يا حبيبة اخرجى فانظري من هذا ؟

قالت: محمد بن سليمان "اى الحاكم" ..

قال: قولى له : يدخل وحده ..

فدخل وجلس بين يديه ..

ثم ابتداءً فقال: ما لى اذا نظرت اليك امتلأت رعباً؟!!!

قال حماد: حدثنى ثابت البنانى قال: سمعت أنساً يقول:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شئ.. واذا أراد ان يكنز الكنوز هاب من كل

شئ"!!!..

ان الامام بديع الزمان سعيد النورسى لن يموت في ضمير هذه الامة.. وان كلماته ووصاياه
لن تذهب سدى ولا هباء ما بقى في الحياة مسلم غيور او مسلمة.

ان موته لم يكن نهاية مجده ولا جهاده .. وان النور المحمدى الذى سطع منه لن يقدر احد

على اطفائه ..

والا فما الذى جاء بنا من مصر بلد الازهر .. ان الاسلام لا يعرف فواصل الجنس ولا

اللغة.. وما نكبت هذه الامة بمثل ما نكبت به على ايدى هؤلاء السفاحين والقتلة الذين اعدوها

جاهلية وشعوبية..

لقد سطعت شمس الحقيقة الاسلامية في شخص بديع الزمان سعيد النورسى..

وهى حقيقة تتجاوز الزمان والمكان والحاضر والمستقبل.. حقيقة احيت الامل في

القلوب المظلمة باليأس. وفي الشعوب التى توهمت ان نداء الايمان قد خفت من فوق مآذن

"اسلامبول" التى عادت - كما كانت - تستقبل ابناء الاسلام من كل لون ومن كل جنس...!!!

* د. عبد الودود إبراهيم شلبي: تعلم في الأزهر حتى حصوله على درجة الماجستير. اكمل تعليمه العالي في جامعة كمبردج و "أورينتال" في جامعة بنجاب. شغل مناصب عديدة في مصر والعالم الإسلامي. كما كان مديراً للمركز الإسلامي في مدينة سيدني باستراليا. آخر وظيفة شغلها هي وظيفة الأمين العام للمجلس الأعلى للدعوة في الأزهر. شارك في أكثر من سبعين مؤتمراً إسلامياً في آسيا وإفريقيا وأوروبا وأستراليا. عضو اتحاد الكتاب المصريين. والمجلس العالمي للدعوة الإسلامية في باكستان وجمعية الدعوة الإسلامية في السودان. وعضو مؤسس في المجلس العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. له أكثر من خمسة عشر مؤلفاً باللغتين العربية والانجليزية.

1 الإسلام في القرن العشرين - ص 43 - عباس العقاد.

2 في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: "يوشك ان تداعى الامم عليكم كما تداعى الاكلة على قصعتها" الحديث رواه ابو داود والبيهقي في دلائل النبوة. انظر مشكاة المصابيح ج: 2 طبعة المكتب الاسلامى 1381 هـ .

3 عجائب الآثار للجبرتي - طبعة دار الشعب بالقاهرة.

4 انظر في هذا الموضوع - المهدي السوداني - للكاتب - طبعة دار المعارف - القاهرة 1980 م ..

5 نسبة الى "سرهند" بين دهلى عاصمة البلاد الهندية وبنجاب، وقبره يزار ويتبرك به.

6 والطريقة المنسوبة الى الشيخ، وهى الطريقة المجددية، وهى وان كانت ابعد الطرق عن البدع والخرافات فقد تطرق اليها بعض الغلو من الذين نسبوا اليه الكرامات الخارقة وعزوا اليه اقاويل واعمالاً لا يشك عقلاؤهم في براءته منها.

7 نظرة اجمالية الى انتشار الدعوة الاسلامية في الهند. - مسعود الندوى - ص: 20 وما بعدها.

8 ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين - فضيلة العلامة الشيخ عبد الجليل عيسى - ص: 56 - وما

بعدها..

9 بديع الزمان سعيد النورسى - ص: 174 وما بعدها.

10 بديع الزمان سعيد النورسى - ص: 177.

11 انظر: الاحياء ج1 - كتاب الطهارة.

12 الامام الغزالي .. د/يوسف القرضاوى - ص: 67 - 68.

13 تاريخ الاستاذ الامام "لرشيد رضا - محمد عبده" للعقاد - زعماء الاصلاح "احمد امين - ص: 329

- الطبعة الخامسة..

14 بديع الزمان سعيد النورسى - ص: 154 وما بعدها..

15 ولد العلامة اقبال سنة 1877م وتوفى في ابريل 1938م، بينما ولد بديع الزمان سنة 1873م وتوفى

عام 1960م.

16 بديع الزمان - ص: 167.

17 روائع اقبال - العلامة ابوالحسن الندوى.

18 عبقرية عمر - طبعة دار الهلال - ص: 27.

19 بديع الزمان سعيد النورسى - ص: 34 - 35.